وسلم ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى انه
لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والتعبير والغرض
وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
منه الوتين وقال في الملايكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه
جهنم مع انه تعالى اخبر عنهم انهم لا يسبقونه بالقول وبانهم يخافون ربهم
من فوقهم فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا عرفت هذه الاية
على ان الله تعالى لما اوجب على جميع الانبيا ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
لو كانوا في الاحيا وانهم لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين فلان يكون
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم من باب اولى فكان صرف
هذا الميثاق الى الانبيا اقوى في تحصيل المقصود وقال السبكي وفي هذه
الاية انه عليه السلام على تقدير مجيئهم في زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون
نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن ادم الى يوم القيمة وتكون الانبيا
واممهم كلهم من امته ويكون قوله عليه السلام وبعثت الى الناس كافة
لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا وانما اخذ
له الميثاق على الانبيا ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي اخذ
المواثيق وهي في معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتومنن به
ولتنصرنه لطيفة وهي كانها ايمان البيعة التي توخذ للخلفا ولعل
ايمان الخلفا اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه
وسلم من ربه تعالى فاذا عرفت هذا فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الانبيا

ولهذا

٩

ولهذا ظهر ذلك في الاخرة جميع الانبيا تحت لوايه وفي الدنيا كذلك ليلة
الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن ادم ونوح وابراهيم وموسى
وعيسى وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله
الميثاق عليهم فنبوته عليه السلام ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما
امره يتوقف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك لامر راجع الى وجودهم
لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه
على اهلية الفاعل فها هنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله
عليه وسلم الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم
لزم اتباعه بلا شك ولهذا ياتي عيسى عليه السلام في اخر الزمان على شريعته
وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه ياتي واحدا من هذه الامة نعم
هو واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما
يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقران والسنة وكل ما فيهما من امر
ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر هذه الامة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص
منه شي وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه او زمان موسى
وابراهيم ونوح وادم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبي
صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل
واعظم وتتفق مع شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته وما لنه
عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على
سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University